رابطة العالم الإسلامي

الأمانة العامة

الإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

ضعف الأسرة
في التنشئة الاجتماعية السليمة

إعداد

الدكتور أحمد بن حمد البوعلي

الأمين العام لمؤسسة الأمير محمد بن محمد بن جلوي للقرآن والسنة في الأحساء

مقدم إلى

المؤتمر الإسلامي العالمي

مكافحة الإرهاب

الذي تنظمه

رابطة العالم الإسلامي

تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين

الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود

مكة المكرمة

٣ - ٦ / جمادى الأولى / ١٤٣٦ هـ، الموافق: ٢٢ - ٢٥ / فبراير / ٢٠١٥ م

رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية

صندوق البريد (٥٣٧) أو (٥٣٨) مكة المكرمة (٢١٩٥٥)

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠٠٩١٩ – الفاكس: ٥٦٠١٣١٩ – ٥٦٠١٢٦٧

برقياً: رابطة – مكة، تلكس: ٥٤٠٠٠٩ و٥٤٠٣٩٠

www.themwl.org

البريد الإلكتروني للإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

conferences@themwl.org

واتس أب : ٠٠٩٦٦٥٠٣٣٩٦٣٢٠ : whatsApp

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ، أما بعد:

فلقد يسر الله سبحانه وتعالى لهذا المؤتمر أن يُعقد في رابطة العالم الاسلامي، هذه المنظمة الإسلامية الشعبية العالمية التي نفع الله بها كثيراً من خلال جهودها وأنشطتها التي تعمل على مكافحة الشرور، وتدعو إلى الوئام البشري، ونشر مبادئ العدل والإحسان والتسامح، ومنع الظلم والبغي بين الناس، منطلقة في ذلك من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ ومن خلال إعلان موقفها الرافض للإرهاب والتطرف، منذ تأسيسها وهي تعمل من خلال ميثاق إسلامي عالمي، يدعو إلى التسامح والتواصل والتعاون وتحقيق العدل بين الشعوب، وقد اتخذت مواقف مبكرة في محاربة الإرهاب، من خلال مجالسها ومؤتمراتها، ومن خلال تعاونها مع الحكومات والمؤسسات العالمية، ومشاركتها في مؤتمرات عدة، وتأييدها لمواقف قادة المسلمين في محاربة الإرهاب، فجزى الله خيرا معالي أمينها الأستاذ الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي؛ وجزى الله بلادنا المباركة المملكة العربية السعودية التي تنطلق من رؤية واضحة في مكافحة كل شر؛ والعمل على تحقيق السلام والتضامن بين الشعوب المسلمة، وسأتحدث عن ضعف الأسرة في التنشئة الاجتماعية السليمة، حيث أصبح العالم يتنادى لمواجهة الإرهاب؛ ويحاول أن يضع الخطط الاستراتيجية للقضاء عليه أو التخفيف منه، وهذا صعب جداً مالم يركز على التنشئة الاجتماعية السليمة، ويركز على الطفل لأنه ذخيرة اليوم وعدة المستقبل؛ وإلا سيكون مدخلاً جاذبًا ومؤثراً في أي نشاط إرهابي.

الباب الأول
مفاهيم البحث

ويشتمل على:

- إشكالية وأهمية الدراسة.
- أهداف وتساؤلات الدراسة.
- مفاهيم الدراسة (الأسرة – التنشئة الاجتماعية).
- الانحراف الاجتماعي (مفهوم الانحراف -المفهوم الإجرائي).
- الأسرة (الخصائص – أهم الوظائف الواجب على الأسرة القيام بها).

الأسرة:

أوجب التشريع الإسلامي أن تسود الأسرةَ التربيةُ الدينية الصحيحة التي تغرس في النفوس العقائد السليمة الراسخة؛ وتربيتها الأبناء في جو من الإيمان الصحيح، وهو الدعوة إلى طاعة الله؛ والامتثال لأوامره واجتناب نواهيه؛ والتحلي بمكارم الأخلاق؛ ومراقبة الله وحده وخشيته في السر والعلن، بل هي المؤسسة التربوية الأولى التي تتلقى الطفل منذ أن يفتح عينيه على النور، وهي الوعاء الذي تشكل داخله شخصية الطفل تشكيلاً فردياً واجتماعياً؛ كما أنها المكان الأنسب الذي تطرح فيه أفكار الآباء والكبار، ليطبقها الصغار؛ وعلى مر الأيام تتم تنشئتهم في الحياة.

ومما لا شك فيه أن التطور الاقتصادي والاجتماعي والتقني لعب دوراً كبيراً في إضعاف التربية الأسرية السليمة، حيث أصبح لوسائل الإعلام المتعددة؛ والخدم في البيوت؛ دور هام في تكوين شخصية الطفل، مما جعل دور الأسرة هامشياً نظراً لغياب الوالدين في العمل والبعد عن الأطفال؛ وكثر الطلاق؛ والعولمة والغزو الفكري الغربي؛ والابتعاد عن الدين، كل ذلك كان له الأثر الكبير في تكوين شخصية النشء.

وإذا كانت الأسرة هي النواة الأولى في التنشئة الاجتماعية؛ والتي تتولى تنشئة الأفراد في مراحلهم العمرية المختلفة؛ فهذا لا يعني أنها المؤسسة الوحيدة التي تتولى ذلك؛ لأن التنشئة تتم من خلال عدة مؤسسات؛ كالأسرة والمدرسة والرفاق والمسجد ووسائل الإعلام، وبالتالي فهي العملية التي يتم من خلالها تعليم وتدريب الفرد على أداء الأدوار المنوطة به اجتماعياً واقتصادياً وإنتاجياً على مستوى الأسرة والمجتمع.

والواقع أن القضايا والإشكاليات التي تطرحها العولمة على عملية التنشئة الاجتماعية؛ ودور الأسرة والمؤسسات الاجتماعية المختلفة؛ لم تلق الاهتمام الكافي من البحث والدراسة، فمن الثابت أن العولمة أسهمت في زيادة التباعد والتفاوت الاجتماعي والاقتصادي والتعليمي والمعرفي بين الناس، كما أن الآثار الاقتصادية المصاحبة للعولمة قد تدفع الحكومات في العالم الثالث إلى خصخصة بعض مؤسسات التنشئة الاجتماعية كالإعلام والتعليم؛ أو على الأقل بعض المدارس والجامعات، وبالتالي تحجيم الرؤى التربوية، وفوقَ كل شيء تحديد رؤية الأهداف التربوية؛ إذ تصبح الأهداف الإنسانية والثقافية والاجتماعية للتعليم على وجه الخصوص ثانوية بالنسبة للمعايير ذات الطابع الاقتصادي.

أولاً: إشكاليه الدراسة

للأسرة دور كبير لأهميتها في التنشئة الاجتماعية السليمة؛ والإشباع العاطفي والتأثير على شخصية النشء؛ والعمل على تدعيم المعايير المرتبطة بأدوار السلوك؛ بالإضافة إلى الضبط الاجتماعي المتمثل بقيود وقواعد منظمة للسلوك؛ تمارسه الأسرة بما يتناسب مع قيم المجتمع -وفي مقدمتها القيم والمبادئ الدينية- بحيث تحول هذه القيم من ارتكاب الأبناء للانحرافات.

وفي ضوء ذلك فإن للتأثير السلبي للتنشئة دور كبير في عدم إخضاع الأبناء للقواعد المنظمة للسلوك؛ واستجابتهم للمؤثرات البيئية السيئة، فضعف أساليب التنشئة الأسرية؛ والجهل بالأساليب الصحيحة والسليمة في تنشئة الأبناء؛ يؤديان إلى تدمير وإفساد عقولهم، كما أن ضعف الإمكانات المادية والاجتماعية والثقافية عند الأسرة يؤثر على تربية الأبناء؛ وزرع قيمة المسؤولية الاجتماعية لديهم، وهذا الخلل يطلق العنان لرفقاء السوء في التأثير على سلوك الأبناء وعلاقاتهم وقيمهم، كما أن انتماء الأبناء إلى بيئات اجتماعية متنوعة؛

كالمدارس والمساجد والإعلام والمجتمع المحلي وغيرها؛ والتي تزود الأبناء بخبرات وتجارب ومعلومات تغاير أحياناً الخبرات والمعلومات التي يكتسبونها في الأسرة؛ مما يجعلهم أحياناً لا يتمسكون بقيمة المسؤولية الجماعية التي تغرسها الأسرة؛ والتي قد تختلف قيمتها عند مؤسسات أخرى، فيحدث التصادم والتقاطع بين قيم الأسرة وقيم المؤسسات المجتمعية، وهذا التقاطع يؤدي إلى تصدع شخصية الأبناء؛ وضعف قدرتهم على بناء المجتمع؛ مع سهولة استغلالهم من المنحرفين والإرهابيين.

فالتنشئة الأسرية عملية لها دور كبير في إكساب الأبناء القيم والاتجاهات والخصائص الاجتماعية التي تحقق النتيجة المرجوة؛ وتهدف إلى الإعداد من أجل قيام الأبناء بأداء أدوارهم المستقبلية الناجحة.

ثانياً: أهمية الدراسة.

تكشف الدراسة عن أسباب الانحراف المرتبطة بالأسرة؛ كإحدى أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية؛ وتحث على الاهتمام بهذه الفئة التي تركز عليها المجتمعات البشرية؛ والتي تجعل من الأبناء مشروع المستقبل؛ وتدعمه بالقيم والمعارف التي تصل إليه من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

ثالثاً: أهداف الدراسة.

- توضيح دور الأسرة في عمليه تنشئة الأبناء.
- معرفة الأسباب التي تؤدي إلى ضعف التنشئة الأسرية.
- التعرف على وجه العلاقة بين التنشئة الأسرية والانحراف.
- تحديد تأثير الانحراف على الفرد والأسرة والمجتمع.

- وضع بعض التصورات الهادفة للدفع بالتنشئة الأسرية الإيجابية إلى الحد من انحراف الأبناء.

رابعا: تساؤلات الدراسة.

سنتعرض إلى العديد من التساؤلات المثارة في الدراسة؛ ولكن سنعرض منها بعض النقاط المختصرة التي توضح الهدف الرئيسي والمتمثل في السؤال الآتي: ما دور الأسرة في تنشئة الأبناء؟

- ما هي الأسباب المؤدية إلى ضعف التنشئة الأسرية؟
- ما العلاقة بين التنشئة الأسرية والانحراف؟
- ما هو تأثير الانحراف على الفرد والأسرة والمجتمع؟
- ما الأفكار والتصورات التي تعالج ظاهرة الانحراف لدى الأبناء، والمحافظة عليهم من الإرهاب؟

خامساً: مفاهيم الدراسة.

مفهوم الأسرة:

إن الأسرة إحدى العوامل الأساسية في بناء الكيان التربوي؛ وتكوين شخصية الطفل، وإكسابه العادات التي تبقى ملازمة له طول حياته، فهي البذرة الأولى في تكوين النمو الفردي وبناء الشخصية، فإن الطفل في أغلب أحواله مقلّد لأبويه في عاداتهم وسلوكهم، فهي أوضح قصداً، وأدق تنظيماً، وأكثر إحكاماً من سائر العوامل التربوية الأخرى[1].

(١) علم الاجتماع: ص٩٢.

مفهوم الأسرة في الإسلام؛ لغةً واصطلاحاً:

الأسرة من «أ. س. ر»؛ ومعناه الحبس والإمساك؛ وقد اشتُق مصطلح الأسرة من هذه المادة اللغوية لما يترتب على كل واحد من أعضائها من التزامات نحو الآخرين[١].

كما أنها تعطي معنى القوة والشدة؛ وهي الدرع الحصين، وهذا المعنى اللغوي للأسرة يجعل منها حصناً حصيناً يصعب اختراقه، والذي بهدمه تضيع العلاقات في المجتمع، ومفهوم الأسرة هذا من خواص الإنسان، إذ لا وجود له في مملكة الحيوان.

مفهوم التنشئة الاجتماعية:

التعريف اللغوي: جاء في لسان العرب لابن منظور كلمة التنشئة من الفعل نشأ، ينشأ، نشوءاً، ونشاءاً بمعنى ربا وشب[٢].

والتنشئة الاجتماعية هي «العملية التي يتم من خلالها التوفيق بين رغبات ودوافع الفرد الخاصة؛ وبين اهتمامات الآخرين، والتي تكون ممثَّلة في البناء الثقافي الذي يعيش فيه الفرد؛ والاستخدام المألوف للأساليب الشائعة في المجتمع؛ كالمحافظة على المواعيد، وهذه الأشياء ضرورية إذا ما كان على الفرد أن يحيا في وئام مع نفسه ومع الآخرين في المجتمع»[٣].

---

(١) غني ناصر حسين القريشي؛ النظريات المعاصرة للضبط الاجتماعي، كلية الآدب / مدونة العلوم الاجتماعية، عبيد شبيب العجمي: التفكك الأسري وجنوح الأحداث في المجتمع الكويتي – رسالة دكتوراه.

(٢) ابن المنظور. أبو الفضل جمال الدين. لسان العرب. بيروت: دار الطباعة والنشر. ٣/ ١٩٩٧.

(٣) سلوى عبد المجيد الخطيب. نظرة معاصرة في علم الاجتماع المعاصر. القاهرة: مطبعة النيل للطباعة والنشر والتوزيع- ٢٠٠٢.

وبهذا نجد أن وظيفة التنشئة الاجتماعية من وجهة نظر علماء النفس؛ هي تحقيق التوازن بين نزوات الفرد ورغبات المجتمع؛ بحيث يمكن تهذيب هذه النزوات وتحويلها إلى سلوكيات مقبولة اجتماعيًا، ولا يكون هذا إلا مع بداية الطفولة، ولذلك وضعوا العديد من النظريات التي تحاول تفسير كيفية تشكيل الشخصية، فالتنشئة الاجتماعية بهذا المفهوم تعني عملية تعليم الفرد منذ نعومة أظافره عادات وأعراف وتقاليد المجتمع؛ أو الجماعة التي يحيا بداخلها؛ حتى يستطيع التكيف مع أفرادها من خلال ممارسته لأنماط من المعايير والقيم المقبولة اجتماعيا، والتي تجعل الفرد فاعلاً اجتماعيًا داخل أسرته ومجتمعه، وهي تحدث من خلال وجود التفاعل بين الأفراد، هذا التفاعل الذي يعتبر جوهر العملية التنشيئية.

فمفهوم التنشئة الاجتماعية يتركز على ثلاثة جوانب:

- **يتمثل الجانب الأول**: في أن التنشئة عملية تتكثف في مرحلة الطفولة، وأن كل ما يتعرض له الفرد من خبرات ومواقف في هذه المرحلة يبقى راسخًا في شخصيته طوال حياته، كما أنها تعمل على التوفيق بين دوافع الفرد؛ وبين قيم المجتمع ليحدث التكيف.
- **ويتمثل الجانب الثاني**: في كون التنشئة الاجتماعية عملية مستمرة طوال الحياة، يتحول الفرد خلالها من كائن بيولوجي إلى فرد اجتماعي عن طريق التفاعل الاجتماعي (التأثير والتأثر)؛ ليستطيع التكيف والاندماج بكل يسر مع أفراد المجتمع، كما يتعلم الفرد الأدوار المناسبة ويستطيع من خلال التنشئة الاجتماعية فهم توقعات الآخرين؛ والارتباط بالجماعة التي ينتمي إليها.

- **أما الجانب الثالث**: فيوضح أنه كنتيجة للتنشئة الاجتماعية تصبح عناصر البناء الاجتماعي والثقافي جزءاً مندمجاً في بنية شخصية الفرد، فالتنشئة هي أن تُدمج ثقافة المجتمع في شخصية الفرد ليصبح عضواً نافعاً في مجتمعه.

من خلال هذه الجوانب يمكننا القول إن التنشئة الاجتماعية عبارة عن تكامل بين هذه الجوانب الثلاثة، إذ لا نستطيع التحدث عن جانب دون الإشارة إلى الجانب الآخر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فالتنشئة مزيج بين ما هو نفسي واجتماعي وانثروبولوجي...الخ. ويمكننا أن نعتمد على هذا التمازج أو التكامل في وضع تعريف إجرائي لمفهوم التنشئة الاجتماعية.

مفهوم الانحراف:

هو خروج الفرد عن المعايير التي ارتضاها الدين ثم المجتمع كمعايير للسلوك؛ فالقاتل منحرف ومدمن المخدرات منحرف؛ لأن معايير المجتمع تحرم القتل؛ وتحرم الإدمان؛ وتمنع الشغب[١].

ومفهوم الانحراف يختلف عن مفهوم الجريمة؛ لأن مفهوم الانحراف أوسع وأعم من مفهوم الجريمة، فالانحراف هو كل الأساليب والسلوكيات التي لا تلتزم بالمعايير، أما الجريمة فهي تشير إلى السلوك الذي يخالف المعايير؛ ويعاقب عليه القانون، فمثلا: يُعد القتل جريمة لأن القانون يعاقب عليه؛ أما عقوق الوالدين فهو انحراف لأنه سلوك لا يلتزم بالمعايير، ومن هنا يمكن القول بأن كل جريمة هي انحراف؛ وليس كل انحراف جريمة.

---

(١) غني ناصر حسين القريشي؛ النظريات المعاصرة للضبط الاجتماعي، كلية الآدب / مدونة العلوم الاجتماعية، عبيد شبيب العجمي: التفكك الأسري وجنوح الأحداث في المجتمع الكويتي – رسالة دكتوراه.

الانحراف الاجتماعي:

يستعمل هذا الاصطلاح في توضيح السلوك الذي لا يتماشى مع القيم والمقاييس والعادات والتقاليد الاجتماعية التي يعتمدها المجتمع في تحديد سلوك أفراده، والدراسات النظرية للانحراف تهتم دائماً بالسلوك غير الوظيفي؛ والسلوك الشاذ الذي يتناقض مع الأحكام الاجتماعية والعرفية الضرورية لعملية التماسك الاجتماعي في النظام.

المفهوم الإجرائي للانحراف:

هو الخروج عن القيم والعادات المألوفة لدى أفراد المجتمع؛ أو عن النظم والقوانين التي تضعها الدولة؛ أو عن الأسس المرغوبة داخل الأسرة وخارجها، والانحراف سلوك غير مرغوب؛ لكنه في توصيف علم الاجتماع لا يُعد جريمة، بل هو أعم وأشمل من الجريمة؛ لأنه يصف كل سلوك حسب وضعه، وهو موجود داخل الأسرة مع الأطفال ومع الشباب؛ وداخل المجتمع[١].

خصائص الأسرة:

ومن خلال تناولنا للتعريف السابق للأسرة يمكننا استنتاج الخصائص الآتية للأسرة:

١ - الأسرة جماعة اجتماعية دائمة؛ تتكون من أشخاص لهم رابطة تاريخية، وتربطهم صلة الزواج، والدم والتبني، أو الوالدين والأبناء.

---

(١) غني ناصر حسين القريشي؛ النظريات المعاصرة للضبط الاجتماعي، كلية الآدب / مدونة العلوم الاجتماعية، عبيد شبيب العجمي: التفكك الأسري وجنوح الأحداث في المجتمع الكويتي – رسالة دكتوراه.

٢- أفراد الأسرة عادة يقيمون في مسكن واحد يجمعهم.

٣- الأسرة هي المؤسسة الأولى التي تقوم بوظيفة التنشئة الاجتماعية للطفل، والذي يتعلم منها الكثير فيما يخص حياته؛ مثل المهارات الخاصة بالأكل واللبس والنوم.

٤- للأسرة نظام اقتصادي خاص من حيث الاستهلاك وإنتاج الأفراد، لتأمين وسائل المعيشة للمستقبل القريب لأفراد الأسرة.

٥- الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الأولى في بناء المجتمع، وهي حجر الأساس في استقرار الحياة الاجتماعية الذي يستند عليه الكيان الاجتماعي.

٦- الأسرة وحدة للتفاعل الاجتماعي المتبادل بين أفراد الأسرة، والذين يقومون بتأدية الأدوار والواجبات المتبادلة بين عناصر الأسرة، بهدف إشباع الحاجات الاجتماعية والنفسية والاقتصادية لأفرادها.

٧- الأسرة بوصفها نظاماً للتفاعل الاجتماعي تؤثر وتتأثر بالمعايير والقيم والعادات الاجتماعية والثقافية داخل المجتمع، وبالتالي يشترك أعضاء العائلة في ثقافة واحدة.

أهم الوظائف التي يجب على الأسرة القيام بها ما يلي:

١- **التربية الدينية**: تعليم أفراد الأسرة أمور العقيدة منذ بداية النشأة؛ من حيث كيفية تعامله مع أبناء دينه، وتعامله مع أبناء الأديان الأخرى بما يرضي الله تعالى؛ وبما لا يتنافى مع احترام أعراف المجتمع الذي يعيش فيه.

٢- **التربية الأخلاقية والنفسية والوجدانية**: على الوالدين أن يربوا الأبناء على الأخلاق والقيم الفاضلة النبيلة؛ وعليهما غرس هذه الأخلاق والقيم في نفوسهم على أساس من الفهم والعلم، وكذلك تقديم الحنان والعطف والاطمئنان العاطفي والحب المتبادل.

٣- **التربية الجسمية والصحية**: وهي العناية بالنشء وتربيتهم تربية جسمية صحية، وذلك بتقديم الغذاء الصحي لتنمية أجسامهم، وتدريبهم على ممارسة العادات الصحية في كل الشؤون؛ والاعتماد على النفس.

٤- **التربية العقلية**: تقول (مارجريت ربيل، ١٩٤٣): «إن حب الوالدين مطلب أساسي للنمو العقلي الطبيعي، والأطفال الذين لا يحصلون على العناية الكافية والانتباه اللازم يصبحون متخلفين في عدد من الميادين»[١]؛ فالاعتناء بالمؤثرات التي يمكن أن تعطل أو تؤثر على العقل مهم.

٥-**التربية الترويحية**: يجب على الأسرة الاهتمام بأوقات الفراغ بما يعود على مجتمعهم بالنفع والفائدة. يقول (موريتز لازاروس): «إن اللعب ترويح عن النفس والجسد بعد التعب»[٢].

---

(١) انظر إبراهيم ناصر (١٩٩٦). علم الاجتماع التربوي، ط٢، دار الجيل للنشر، بيروت، ص٦٧.

(٢) المرجع السابق ص٦٩.

الباب الثاني
التنشئة الاجتماعية السليمة

ويشتمل على:

- أهمية الأسرة في التنشئة الاجتماعية.
- دور العلاقات الأسرية والعامل الثقافي للأسرة في التنشئة الاجتماعية.
- أثر الوضع المهني للأب؛ والعامل الاقتصادي للأسرة في التنشئة الاجتماعية.
- الطفل والإرهاب.
- العنف (أنواعه والبرامج التوعوية الوقائية).

الأسرة والطفل:

ومن هنا تبرز أهمية تحصين الأسرة وحمايتها ضد كل الظواهر الاجتماعية التي من شأنها التأثير على أمن المجتمع ونسيجه الاجتماعي والقيمي والثقافي، فالأسر المتماسكة المستقرة هي القادرة على وأد تلك الظواهر السلبية في مهدها، والقادرة على أن تثمر أجيالاً واعدة، ولعل أحد أهم القضايا الاجتماعية التي يجب أن نسلط الضوء عليها هي حماية الطفل من الإساءة والمخاطر السلوكية، حيث تؤكد معظم الدراسات على أن الإساءة إلى الطفل وتركه عرضة للمخاطر؛ يعتبر مهدداً رئيسيًا للأمن على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع، ومن أهم مسببات التفكك الأسري وانحراف البالغين والأحداث.

وفي هذا الإطار ينبغي أن يحظى الطفل برعاية واهتمام كبيرين من ولاة الأمر والمختصين، ولايكفي إصدار قوانين لحماية الطفل.

أهمية الأسرة في التنشئة الاجتماعية:

«يجمع الباحثون في مختلف الميادين على أهمية الدور الذي تلعبه الأسرة في حياة الناشئة والأطفال، وهم بذلك ينطلقون من الأهمية الخاصة لمرحلة الطفولة على المستوى البيولوجي والنفسي والاجتماعي، وتؤثر الأسرة على بناء شخصية الطفل اجتماعيًا بفضل عاملين أساسيين هما:

١- النمو الكبير الذي يحققه الطفل خلال سنواته الأولى جسديًا ونفسيًا.

٢- قضاء الطفل لمعظم وقته خلال سنواته الأولى في عملية التعليم.

ويشير (بلوم) في هذا الصدد إلى أن الطفل يكتسب ٣٣٪ من معارفه وخبراته ومهاراته في السادسة من العمر، ويحقق ٧٥٪ من خبراته في الثالثة

عشرة من عمره، ويصل هذا الاكتساب إلى أتم مراحله في الثامنة عشرة من العمر، ويشير علماء البيولوجيا أيضاً إلى أن دماغ الطفل يصل إلى ٩٠٪ من وزنه في السنة الخامسة من العمر، وإلى ٩٥٪ من وزنه في العاشرة من العمر»[١].

ويؤكد (غلين دومان) أن ٨٩٪ من حجم الدماغ الطبيعي ينمو خلال السنوات الخمس الأولى، وهذا من شأنه أن يؤكد على أهمية مرحلة الطفولة المبكرة في حياة الإنسان على المستوى البيولوجي، ومن المعروف أن نمو الدماغ أثناء الطفولة ترافقه زيادة مرموقة في القدرات العقلية عند الأطفال، فإذا وُجد الطفل خلال هذه المرحلة في كنف الأسرة، فإن للأسرة دوراً حاسماً في تحديد شخصية الطفل، وتحديد مستوى نمائه وتكامله على مختلف المستويات الانفعالية والمعرفية والجسدية والاجتماعية. حيث يلاحظ (زازو) في هذا السياق أن الطفل في السنوات الثلاثة الأولى من عمره يكون قد حقق ما يلي:

- يكون الجانب الأساسي من تركيبته الوراثية قد اكتمل.
- يكون قد اكتسب الوقوف على قدميه.
- يكون قد اكتسب اللغة.
- تكونت لديه خصائص انفعالية متنوعة.

وهذا يعني بأن الطفل في العصر الحاضر يتمتع بجميع وسائل الراحة والترفيه التي تساعد على تطور النمو العقلي وتوسع معارفه، ولكن من المؤسف جداً غياب دور الأم عن الطفل وتركه للخدم؛ مما يؤثر في نموه

---

(١) علي أسعد وطفة، علم الاجتماع التربوي وقضايا الحياة التربوية المعاصرة، ص ٤، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت. (١٩٩٨) ص ١٤٢-١٤٣.

اللغوي؛ وكذلك يكتسب من الخدم قيما وعادات تؤثر على شخصيته؛ ولا تتناسب مع المجتمع الذي يعيش فيه[١].

دور العلاقات الأسرية في التنشئة الاجتماعية السليمة للأطفال:

ومن خلال ذلك يمكن أن نبين الدور الرئيسي للعلاقات الأسرية في بناء شخصية الطفل؛ حيث تشتمل الأسرة بحكم بنيتها ووظائفها على نسق من العلاقات التي تقوم بين أفرادها، وتعد العلاقة القائمة بين الأبوين المحور الأساسي لنسق العلاقات التي تقوم بين أفراد الأسرة، والمنطلق الأساسي لعملية التنشئة الاجتماعية، حيث تعكس العلاقة الأبوية ما يسمى «بالجو العاطفي» للأسرة، والذي يؤثر تأثيراً كبيراً على نمو الأطفال نفسياً ومعرفياً، وتمثل العلاقة الأبوية نمطاً سلوكياً لأفراد الأسرة، وهذا يعني أن الطفل يكتسب أنماطه السلوكية من خلال تمثل هذه العلاقات السلوكية القائمة بين أبويه.

فالأطفال، كما هو معروف، يتقمصون شخصية آبائهم، ويتمثلون سلوكهم، كنموذج تربوي بشكل شعوري أو لا شعوري، ويتحدد النمط السلوكي داخل الأسرة بتصورات الدور والمواقف، وسلوك الدور الذي يقوم به أفراد الأسرة.

ويلاحظ أن الأسرة تتضمن منظومة من الأدوار: كدور الأب، ودور الأم، ودور الزوجة، ودور الأخ، ودور الأخت، ودور المربية، وكل دور من هذه الأدوار تجري وفق تصورات قائمة في ثقافة المجتمع العامة أو في ثقافاته الفرعية، وتشكل هذه الأدوار منظومة العلاقات التي تسود في وسط الأسرة، والتي تشكل بدورها محور التفاعل الاجتماعي والتربوي داخل الأسرة.

---

(١) فيصل عايض الهاجري: الأسرة والتنشئة الاجتماعية

http://montada.echoroukonline.com/showthread.php?t=229623

وتتباين العلاقات القائمة في إطار الأسرة الواحدة من حيث درجة الحرية، ودرجة الشدة، ويتمثل التصلب التربوي في استخدام الشدة والعنف في العلاقات الأسرية كالضرب، والشجار، والعقاب الشديد، والاستهتار والظلم، وغياب المرونة في إطار التعامل الأسري، أما التسامح فيتمثل في المرونة، والرقة، والحرية، واحترام الآخر، والتكافؤ، والعدل، والمساواة.

ويطلق على الجانب الأول من العلاقات: علاقات التسلط والقوة، وعلى الجانب الآخر: العلاقات الديمقراطية، ويكاد المربون اليوم يجمعون على أن أسلوب الشدة لا يتوافق مع متطلبات النمو النفسي والانفعالي عند الأطفال، بل يؤدي في جملة ما يؤديه، إلى تكوين مركبات وعُقد النقص، والضعف، والإحساس بالقصور، وإلى تنمية الروح الانهزامية عند الطفل، وعندما تلجأ الأسرة إلى أسلوب الشدة فإنها تمارس دوراً سلبياً يتناقض مع مبدأ خفض التوتر النفسي الدائم عند الأطفال، ويؤدي أسلوب الشدة، في جملة ما يؤديه أيضا، إلى تحقيق مبدأ الاغتراب النفسي الانفعالي عند الأطفال.

ولقد بينت الدراسات الجارية في هذا الميدان أن العلاقات الديمقراطية المتكاملة التي توجد داخل الأسرة تؤدي إلى تحقيق التوازن التربوي والتكامل النفسي في شخص الأطفال: كالجرأة، والثقة بالنفس، والميل إلى المبادرة والروح النقدية، والإحساس بالمسؤولية، والقدرة على التكيف الاجتماعي، وقد حث الإسلام على العلاقة التراحمية المتبادلة بين الأب والأبناء، ومن الدراسات التي أجريت في هذا المجال دراسة «بلودوين Bloduun» التي تناول فيها أثر المعاملة الديمقراطية المنزلية على سلوك ١٧ طفلاً، حيث وجد أن ديمقراطية البيت تخرج أطفالاً نشطين لا ينتابهم الخوف من أول وهلة؛ ومخططين فضوليين ميالين إلى التزعم، وعلى خلاف ذلك وجد أن الأطفال

الذين يأتون من أسر متسلطة يميلون إلى الهدوء، ويكونون محدودي الفضول قليلي الأصالة، وضعاف الخيال[١].

«كما تتفق نتائج دراسات عديدة على أن الأطفال الذين ينتمون لأسر تتيح هامشاً جيداً من الحرية والحوار؛ يتميزون عن الأطفال الذين ينتمون لأسر متسلطة بأنهم:

١ - أكبر اعتماداً على الذات وميلاً إلى الاستقلال وروح المبادرة.

٢ - أكثر قدرة على الانهماك في نشاط عقلي تحت ظروف صعبة.

٣- أكثر تعاوناً مع الأطفال الآخرين.

٤ - أكثر اتصافاً بالود وأقل اتصافاً بالسلوك العدواني.

٥ - أكثر تلقائية وأصالة وابتكاراً.

وتبين دراسات أخرى وجود ارتباط بين معدل الذكاء ونوع المعاملة التي كان يجدها الأطفال في وسطهم المنزلي، وأن الطفل الذي ينشأ في أجواء مشحونة بالمشاجرات والانفعالات القاسية ينشأ مشحوناً بالعصبية والقلق والتوتر والخوف. فالطفل يتعلم أول درس له في الحب والكراهية في المنزل، وتحت تأثير العلاقات الأسرية القائمة»[٢].

فالبيت الذي يتمتع فيه الأطفال بالحوار الذي يتسم بالاحترام والأخلاق يكون خير موقع للطفل على المستوى الانفعالي، وعلى العكس من ذلك، فإن البيت الذي تنبعث فيه الخلافات العائلية، وتشيع فيه روح الأنانية والحقد يؤدي

(١) علي أسعد وطفة ص ١٤٣.

(٢) المصدر السابق ١٤٧-١٤٨.

الى الانحراف مما يدفع ذلك إلى سلوك غير مقبول في المجتمع، ويبعث لدى الطفل القلق والخوف، والميل إلى العزلة والانطواء، وعدم القدرة على تبادل العواطف مع غيره من الأفراد، مما يصبح عنصرا غير فعال في المجتمع، ومن هنا تكمن أهمية الأسرة في تربية الأبناء تربية تصب في خدمة الطفل والمجتمع[١].

دور العامل الثقافي للأسرة في التنشئة الاجتماعية السليمة:

للعامل الثقافي للوالدين دور هام في بناء شخصية الطفل والمحافظة على نموه اللغوي والجسمي وتحصيله الدراسي.

حيث بينت الدراسات الجارية في هذا الخصوص، أن هناك تباينًا في أساليب التنشئة الاجتماعية بين الأسر بتباين المستويات الثقافية للأم والأب، وقد تبين أيضًا أن الأبوين يميلان إلى المعرفة العلمية في العمل التربوي كلما ارتفع مستوى تحصيلهم المعرفي أو التعليمي، وعلى العكس من ذلك يميل الأبوان إلى استخدام أسلوب الشدة كلما تدنى مستواهما التعليمي.

وتبين نتائج الدراسة التي أجراها صفوح الأخرس في سوريا على عينة واسعة تقدر بأربعمائة (٤٠٠) أسرة سورية أن هناك علاقة ارتباطية قوية بين مستوى تعليم الأبوين ومدى استخدام الشدة في العمل التربوي؛ حيث أبدى ٧.٦٪ من الآباء حملة الشهادات الجامعية ميلهم إلى استخدام الشدة في التربية مقابل ٢٥٪ عند الآباء الأميين.

وعلى العكس من ذلك أوضح ٩.٤٨٪ من الآباء الجامعيين اعتمادهم على

---

(١) فيصل عايض الهاجري الأسرة والتنشئة الاجتماعية

http://montada.echoroukonline.com/showthread.php?t=229623

أسلوب التشجيع مقابل ١٥٪ فقط عند الآباء الأميين، وتشير الدراسة إلى نتائج مماثلة فيما يتعلق بأسلوب التربية ومستوى تعلم الأم، وفي سياق آخر تبين الدراسات الجارية أن مستوى تحصيل الأطفال لأبناء الفئات التعليمية العليا يكون أفضل من مستوى تحصيل أبناء الفئات التعليمية الدنيا.

وفي هذا الخصوص يعلن كل من بورديو Bourdieu وباسرون Passoron في جل أعمالهم عن الدور الكبير الذي يلعبه العامل الثقافي على مستوى التحصيل المدرسي للأطفال.

ولقد تبين لنا في دراسة أجريناها عام ١٩٨٥ حول عينة من طلاب جامعة دمشق أن عدد الطلاب في التعليم العالي يميل إلى التزايد وفقاً لتدرج ثقافة الأب الحاصلة؛ وأنهم يتوزعون في الفروع العلمية الهامة كلما تم التدرج في السلم التعليمي للأب، وتشير نتائج دراسات أخرى إلى أهمية العلاقة بين المستوى الثقافي للأب وحاصل الذكاء عند الأطفال، ونمط شخصياتهم ومدى تكيفهم، وتدل هذه الدراسات إلى ارتباط قوي بين طموح الأطفال العلمي والمهني، والمستوى التعليمي لرب الأسرة.

ويعود تأثير الجانب الثقافي إلى جملة من العوامل: كمستوى التوجيه العلمي للأبوين، وأنماط اللغة المستخدمة، ومستوى التشجيع الذي يقوم به الآباء نحو أطفالهم[1].

وتشير الدراسة التي قام بها المعهد العالي في هينو، في فرنسا؛ والتي أجريت على تسع وعشرين صفاً، وعلى عينة تقدر بحوالي ٦٢٠ طالباً، وذلك من أجل

(١) الأسرة والتنشئة الاجتماعية، الموقع صـ٢٠.

تحديد مستوى الذكاء وفقًا لمستوى دخل أسرة التلاميذ؛ إلى أن هناك علاقة ترابط قوية بين المستوى الاقتصادي للأسرة، وحاصل الذكاء عند التلاميذ، وتشير نتائج هذه الدراسة إلى فوارق كبيرة بين حاصل الذكاء بين هؤلاء الطلاب، وقد بينت الدراسة نفسها أن الأطفال الذين يتعرضون للرسوب هم في الأغلب من أبناء الفئات الفقيرة حيث بلغت نسبة الرسوب عند أبناء الفئة الميسورة ٥.٥٪، و٢.٢٨٪ عند الفئة المتوسطة، و٤.٤٧٪ عند أبناء الفئات الفقيرة.

دور العامل المهني للأب في عملية التنشئة الاجتماعية السليمة:

يلاحظ الباحثون وجود ترابط وثيق بين الأب ومستوى النمو العقلي عند الأطفال، ويتمثل القانون الناظم للعلاقة بين المهنة وحاصل الذكاء، في أن حاصل الذكاء يرتفع تدريجيًا كلما تم الصعود في السلم المهني للأب، و«من أهم الدراسات التي أجريت في هذا المجال البحث الذي أشرف عليه المجلس الاسكتلندي للبحوث التربوية؛ والذي تناول عينة واسعة قدرت بحوالي سبعين ألف طفل. وقد بلغ عدد الأطفال الذين أظهروا حاصل ذكاء عالي (١١٣ وما فوق) ٢٠٪ من مجموع عدد أفراد العينة، وتم توزيع هؤلاء الأطفال وفقًا للفئات المهنية لآبائهم، وقد تبين أن ٦٦٪ من أبناء أساتذة الجامعة والمهن الحرة ينتمون إلى فئة الأطفال الأذكياء مقابل ١٠٪ من أبناء العمال المهنيين غير المؤهلين»[(١)].

وفي بعض الدول العربية لا يتحقق مبدأ تكافؤ الفرص في الوظائف، حيث يوجد كثير من أرباب الأسر لديهم شهادات دراسية عالية ولكن من المؤسف

(١) علي أسعد وطفة ص ١٥٣، وانظر فيصل عايض الهاجري الأسرة والتنشئة الاجتماعية
http://montada.echoroukonline.com/showthread.php?t=229623

جداً أن وضعهم المهني لا يتناسب مع تلك الشهادات، مما يسبب ذلك إحباطاً للكثير من الآباء والأبناء في عدم الاهتمام بالتعليم؛ لأنه لا يحقق المكانة الاجتماعية اللائقة، ويتجهون إلى الأعمال الحرفية التي تدر مكاسب أكثر، مما يؤدي ذلك إلى حرمان الكثير من أبناء تلك الأسر من التعليم، ويتسبب في انتشار الأمية في المجتمع[١].

الطفل والإرهاب:

إن مأساة العنف ضد الطفل أنه لا يستطيع أن يشتكي؛ ولا أن يهرب؛ ولا أن يقاوم، فهو ضحية سهلة وميسرة في أي وقت يشعر الوالد فيها بالرغبة في العنف؛ أو في حالة الانفعال أو الغضب. والعنف ضد الأطفال لا يُعلن؛ ولا يُعلم عنه أكثر من (١٠٪)؛ بينما يظل (٩٠٪) منه في طي الكتمان داخل المنازل، هذه نتيجة إحدى الدراسات الغربية، وأما في مجتمعنا العربي الذي تركز على مفهوم الأسرة والسلطة الوالدية فلا يعرف بالضبط ما نسبة العنف ضد الطفل.

وفي دراسة أن عدداً لا بأس به من أطفالنا يتعرضون للعنف من قبل الوالد خاصة، هذا العنف يأخذ عدة صور، لعل أكثرها شيوعاً مع الأسف الضرب على مختلف أنحاء الجسد، يليه العنف والضغط النفسي والتحقير، ويليه منع الطفل من حقوقه في الترفيه واللعب والتسلية.

عندما يلجأ الأب إلى العنف ضد أحد أطفاله، فإنه وبهذا الفعل يدفع الطفل إلى الجريمة والانحراف والعنف، وعندما يمارس العنف ضد الطفل فإنه يهرب إلى الشارع، حيث إن هذا الطفل لم يجد الدفء والحماية في منزل الأسرة؛

(١) انظر: علي أسعد وطفة ص١٤٩-١٥٠، وانظر فيصل عايض الهاجري الأسرة والتنشئة الاجتماعية http://montada.echoroukonline.com/showthread.php?t=229623

وسيحاول البحث عنها في الشارع، ومع الأسف سيجد من يلتقطه سريعا من الذئاب السائبة، ويلتصق هذا الصغير بالآخر الغريب حيث إنه وبسبب صغر السن يحتاج لمصدر حماية، يحتاج لصدر حنون ويد تمسح رأسه، وهنا تستغل طفولته بأبشع صورة حيث يُستغل الطفل في التسول من قبل ضعاف النفوس، ويستغل في السرقة لحساب الآخرين، وقد يكون من يلتقط هذا الصغير من الشارع لديه فكر إرهابي وفكر ضال، وهنا نحن نفقد أحد فلذات أكبادنا وأحد أعمدة الوطن في المستقبل ليصبح مجرما أو إرهابيا، وهناك أمور يجب معرفتها وفهمها قبل الاتجاه للعنف ضد الأطفال، لعل أهمها أننا كآباء نعطي إشارات خاطئة وغير مفهومة للطفل؛ فمثلا عندما يعمد أحد الوالدين إلى الأسلوب العقابي؛ ويعمد الآخر إلى أسلوب مخالف تماما؛ وأيضا عندما يعمد الأب إلى عدة أساليب متضاربة في العقاب، فيومٌ يضرب؛ ويومٌ يؤنب؛ ويومٌ يهمل، هنا يضطرب الابن ولا يعرف ماذا سيلاقيه بسبب خطأ ما.

وخطورة تعنيف الطفل تعادل خطورة إهماله؛ فكلاهما مصدر خطر محدق بالطفل، وكلاهما يدفعان الطفل نحو الشارع؛ ونحو الالتصاق بأصدقاء السوء؛ ونحو الجريمة والعنف والانحراف بكل أنواعه.

وحتى يكون الضبط أو التأديب نافعا فهناك عدد من القواعد الذهبية، وهي أن يكون التأديب صادرا من قلب شخص محب بعيدا عن الحقد والكره، وبعيدا عن الغضب؛ وبعد استيعاب المبررات.

إن من المآسي أن تكتشف بعد ما عاقبت طفلا أنه مظلوم أو أنك مخطئ في هذا العقاب، إذا يجب قبل العقاب التأكد من الخطأ؛ وسماع مبررات الطفل لهذا الخطأ الذي ارتكبه. كذلك يجب أن تكون كمية العقاب مساوية أو مقاربة للخطأ، فالخطأ الكبير عقابه كبير.. إلخ.

كذلك يجب مراعاة الوقت بين الخطأ والعقاب، فكلما طال الوقت بينهما نسي الطفل الخطأ وتذكر العقاب، ويجب الربط بين الخطأ والعقاب، وأن تكون المدة الزمنية بينهما قصيرة ليكون أثرها كبير.

ولكم أتمنى فعلا وجود جهات حكومية أو أهلية أو خيرية فاعلة تتولى حماية الأطفال من قسوة بعض الآباء الذين نُزعت الرحمة من قلوبهم، ويكون أكبر همهم تصفية الحسابات بواسطة ذلك الطفل المسكين.

ويجب علينا جميعا كمجتمع حماية الأطفال ورعايتهم؛ خاصة وأن ديننا حث على الاهتمام بالطفل، وقد ذكر الله الطفل في كتابه أربع مرات، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ [الحج: ٥]، وقال تعالى: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: ٦٧].

وقد حث النبي ﷺ على العناية بالطفل، وكان يمازح الأطفال ويداعبهم ولا يُعنفهم.

وأدعو كذلك إلى أن نبتعد كمجتمع فاضل طيب عن تشغيل الأطفال، فالطفل الصغير يجب أن يأخذ حظه من التعليم، وأن لا يُجبر على العمل مبكراً؛ لأن في هذا إهمالاً للدراسة؛ وتضييعاً لمستقبل هذا الطفل الواعد لنفسه وأسرته

ومجتمعه ووطنه[١]، وملف «تجنيد الأطفال» في النزاعات المسلحة قديم قدم الظاهرة التي تضرب بجذورها في تاريخ العنف، إلا أن توثيق هذه الصور من قبل الموجة الجديدة للإرهاب الفوضوي أعاد فتح القضية، وانتقلت الظاهرة من مربع حقوق الطفل الذي كان جدلاً نخبويًا محصوراً بين أروقة المنظمات الحقوقية والمؤسسات الدولية ذات العلاقة؛ لتصبح ظاهرة عامة تطرحها وسائل الإعلام دون أن تحظى بنقد واعٍ لخطورة الزج بمثل تلك الصور، ولو على سبيل الإثارة الصحافية، ودون قراءة فاحصة للأسباب والمسببات والنتائج والآثار المترتبة على تفشي ظاهرة استغلال الأطفال من قبل المجموعات المتطرفة.

وأكدت الدراسات أن التنظيمات الإرهابية تعمد إلى جذب الأطفال الأصغر سنًا إلى صفوفها لكونهم الفئة الأكثر انصياعًا؛ والأكثر قابلية للسيطرة.

كما نشرت التنظيمات الإرهابية على شبكة الإنترنت دليلاً إرشاديًا يشرح للأمهات المنضمات إلى التنظيمات المسلحة – إضافة إلى مؤيدات التنظيمات ممن لم ينضممن إليهم– كيفية تنشئة أطفالهن طبقًا لمبادئ وتعليمات التنظيمات التكفيرية.

وورد في تقرير مهم في هذا الصدد أن «التنظيمات المتطرفة تركز على واحدة من أهم خطوات تجنيد المراهقين ممن هم دون الثامنة عشرة؛ وهي حالة النزعة الدينية المتوهجة في صغار السن، الذين عادة ما يكونون حديثي الدخول في تجربة التديّن، والتي تكون ممزوجة بروح التضحية ومشبعة بالفكر الجهادي،

(١) د. يوسف بن أحمد الرميح، أستاذ علم الإجرام ومكافحة الجريمة المشارك، جامعة القصيم، العنف الأسري ضد الأطفال.. يخلق بيئة خصبة لتطرفهم وانحرافهم نحو الجريمة والإرهاب.

خاصة في ظل المواد الإعلامية التي تروجها التنظيمات الجهادية المتطرفة»[١].

وأضاف أن «الأطفال، خاصة من هم في بداية مرحلة المراهقة، يعدون بحق صيدًا ثمينًا لجماعات التطرف بسبب استغلال حسن نواياهم واندفاعهم، ورغبتهم الملحة في تغيير الأوضاع التي يعاني منها العالم الإسلامي، على حد زعمهم، ووفق الرؤية الساذجة التي يقدمها إعلام تلك الجماعات والتنظيمات لهؤلاء الأطفال، دون النظر للتعقيدات السياسية التي تحيط بالمناطق التي تشتعل فيها بؤر الصراعات والنزاعات».

كما أكد التقرير على أن «التنظيمات التكفيرية تعمد إلى الحديث عن الجهاد -بلا ضوابط ولا قيود ولا شروط- وما فيه من مفاخر؛ وكيف كان الصحابة رضي الله عنهم يضحون بأنفسهم ويخوضون غمار الحروب نصرة للدين وإعلاءً لكلمة الله عز وجل».

ولابد من توضيح بأن «التنظيمات الإرهابية يخلطون الروايات التاريخية بعضها ببعض عن عمد؛ حتى يجذبوا المزيد والمزيد من المقاتلين الذين يقاتلون حمية دون وعي ولا فكر، فهم يسردون روايات عن عدد من الصحابة الذين شاركوا في القتال؛ زاعمين أنهم شاركوا وهم صغار السن»[٢].

وينبغي مراعاة بعض القيم والمبادئ، أهمها أن الإسلام نهى عن قتل الأطفال في الحروب، حيث أجمع الفقهاء على تحريم قتل الأطفال أثناء النزاعات المسلحة وعدم التعرض لهم، وقد نهى النبي ﷺ نهيًا صريحًا عن

---

(١) مرصد الإفتاء: التنظيمات الإرهابية تستخدم الأطفال المعاقين ذهنيا كانتحاريين وكدروع بشرية http://lbbk.el-balad.com/1378530

(٢) المصدر السابق.

قتل النساء والصبيان في الحروب، فعن الأسود بن سريع قال: كنا في غزاة لنا فأصبنا ظفراً، وقتلنا في المشركين حتى بلغ بهم القتل إلى أن قتلوا الذرية فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**ما بال أقوام بلغ بهم القتل إلى أن قتلوا الذرية؟، ألا لا تقتلن ذرية، ألا لا تقتلن ذرية**» قيل: لم يا رسول الله؛ أليس هم أولاد المشركين؟ قال: «**أوليس خياركم أولاد المشركين؟**»(١).

والشريعة الإسلامية حرصت على توفير الحماية الجسدية للأطفال بمنع قتلهم أثناء النزاعات المسلحة والحروب، كذلك فقد حرصت على أن توفر لهم الحماية النفسية والاجتماعية، وكفلت لهم حق الأمن والأمان؛ ليمارسوا حياتهم بشكل طبيعي بعيدًا عن الخوف والرهبة، حيث أمر بعدم التفريق بينهم وبين آبائهم وأمهاتهم وذوي قرابتهم إن كانوا صغارًا، لقوله ﷺ: «**من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة**»(٢).

و«من أهم هذه المبادئ التي أقرها الإسلام حماية للأطفال أثناء الحروب والنزاعات المسلحة منع الأطفال من الالتحاق بالجيش وخوض غمار الحروب، لأن الطفل ضعيف البنية لا يقدر على تحمل ويلات الحروب، ولأنه مظنة الرحمة فلا يؤتى به إلى التهلكة، حيث رد النبي ﷺ رافع بن خديج يوم بدر لصغر سنه، كما رد عبد الله بن عمر يوم أحد كذلك، وهناك الكثير من الصحابة الذين ردهم الرسول ﷺ عن الجهاد والمشاركة في الحروب لصغر سنهم، ومنهم: أسامة بن زيد؛ والبراء بن عازب؛ وسمرة بن جندب».

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم ٨٥٦٢، كتاب السير، باب النهي عن قتل ذراري المشركين.

(٢) أخرجه الترمذي، برقم ١٤٨٩، كتاب السير، باب في كراهية التفريق بين السبي.

والتقرير أشار إلى أن «التنظيمات المتطرفة والجماعات التكفيرية تنبذ هذه المبادئ؛ وتأخذ عددًا من الأحاديث والمواقف وتعمل على تفسيرها بما يتوافق مع توجهاتها وتحقيق مآربها في استدراج الصغار والكبار؛ الرجال والنساء إلى ساحة الوغى؛ لتستنزف مقدرات الأمة، وتهدر مستقبلها الواعد المتمثل في هؤلاء الأطفال والشباب».

وحول سبل مواجهة هذه الجريمة النكراء بحق الأطفال يقول التقرير: «الانعكاسات السلبية لجريمة تجنيد الأطفال تعد من أخطر التداعيات وتتطلب جهودا مضاعفة من جميع الجهات المنوطة بحماية الطفل للتخفيف من حدة هذه الانعكاسات، ولعل ذلك ما يستوجب اتخاذ تدابير خاصة لحماية الأطفال من مثل هذه الإساءات الشديدة ومن استغلال حقوقهم».

ومن هذه التدابير «ضرورة تفعيل القوانين الدولية المتعلقة بحماية الأطفال، وبث الوعي بمخاطر هذه الانتهاكات؛ والتي تهدد مستقبل الأمة، كذلك الحث على التدخل الفوري لتحرير الأطفال من البيئات التي يتم فيها استغلالهم وإعادتهم إلى حياتهم الطبيعية والنمطية وإشراكهم في نشاطات متنوعة بهدف إعادة تأهيلهم بإشراف كوادر مدربة من الأخصائيين من علماء الدين والتربية والنفس».

ومن الملاحظ أنه قد انتقل ملف تجنيد الأطفال واستغلالهم في النزاعات المسلحة والعنف الفكري والعملي من كونه ظاهرة ممجوجة تحاول التنظيمات نفيها أو تكذيبها، وربما تبريرها على استحياء، إلى ظاهرة تتبجح التنظيمات المسلحة في تبنيها، وهذا ما نراه الآن مع «داعش»؛ ومع «أنصار الله» الحوثيين، حيث أنشأت «داعش» معسكر «أشبال العزّ» خاص بتجنيد الأطفال وتدريبهم على القتال، وتتحدث تقارير تابعة لمؤسسات دولية عن انتساب المئات من الأطفال إلى هذا المعسكر، وتتراوح أعمار هؤلاء الأطفال ما بين ٧ سنوات؛

و١٤ سنة، وبعد أن يتخرج الأطفال من هذه المعسكرات، يتم تشكيلهم عسكريا من جديد لينخرطوا في مجموعات قتالية، وغالبا ما يتم تجنيدهم كعناصر انتحارية أو جواسيس، بسبب قدرتهم على التنقل والتخفي ومعرفة الطرق على الأرض.

وهناك معسكرات أخرى خاصة بتدريب الأطفال، كان آخرها ما كشفه تقرير لصحافي أميركي نُشر في «واشنطن بوست» عن معسكرات تقيمها «داعش» وتصور أنشطتها، يظهر فيها الأطفال الصغار وهم يطلقون النار على أهداف وهم يسيرون تحت راية سوداء، وهي راية تنظيم ما يُسمى «داعش»، ويُطلق عليهم «أشبال الزرقاوي»، كما أن الأخبار التي تواترت عن إنشاء لواء باسم «طيور الجنة»، وهو الاسم ذاته لمجموعة إنشادية خاصة بالأطفال، في محاولة للمزايدة على شرعنة هذا الاستغلال السيئ للأطفال الأبرياء[١].

العوامل المؤثرة في التنشئة الاجتماعية السليمة:

العائلة هي أول عالم اجتماعي يواجه الطفل، وأفراد الأسرة هم مرآة لكل طفل لكي يرى نفسه، والأسرة بالتأكيد لها دور كبير في التنشئة الاجتماعية، ولكنها ليست الوحيدة في لعب هذا الدور، فهناك الحضانة والمدرسة ووسائل الإعلام والمؤسسات المختلفة التي أخذت هذه الوظيفة من الأسرة، لذلك تعددت العوامل التي كان لها دور كبير في التنشئة الاجتماعية؛ سواء كانت عوامل داخلية أم خارجية، وسوف نعرض هذه العوامل من واقع مجتمعنا العربي الذي نعيشه:

---

(١) أبناء الرصاص.. الإرهاب وتجنيد الأطفال، موقع السكينة
http://www.assakina.com/news/news1/57970.html

أولاً: العوامل الداخلية[١]:

١- الدين: يؤثر الدين بصورة كبيرة في عملية التنشئة الاجتماعية، وذلك بسبب اختلاف الأديان والطباع التي تنبع من كل دين، فيحرص كل دين على تنشئة أفراده حسب المبادئ والأفكار التي يؤمن بها.

٢- الأسرة: هي الوحدة الاجتماعية التي تهدف إلى المحافظة على النوع الإنساني، فهي أول ما يقابل الإنسان، وهي التي تساهم بشكل أساسي في تكوين شخصية الطفل من خلال التفاعل والعلاقات بين الأفراد، لذلك فهي أولى العوامل المؤثرة في التنشئة الاجتماعية، ويؤثر حجم الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية وخاصة في أساليب ممارستها، حيث أن تناقص حجم الأسرة يعتبر عاملاً من عوامل زيادة الرعاية المبذولة للطفل.

٣- نوع العلاقات الأسرية: تؤثر العلاقات الأسرية في عملية التنشئة الاجتماعية، حيث إن السعادة الزوجية تؤدي إلى تماسك الأسرة؛ مما يخلق جواً يساعد على نمو الطفل بطريقة متكاملة.

٤- الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها الأسرة: تعد الطبقة التي تنتمي إليها الأسرة عاملاً مهماً في نمو الفرد، حيث تصبغ وتشكل وتضبط النظم التي تساهم في تشكيل شخصية الطفل، فالأسرة تعتبر أهم محور في نقل الثقافة والقيم للطفل التي تصبح جزءاً جوهرياً فيما بعد.

---

(١) حسين السيد رشدي، دراسة ميدانية عن الغياب المدرسي بالمرحلة الثانوية الأسباب والعوامل ٢٠٠٧/ ٢٠٠٨، ص ٣٧.

٥- الوضع الاقتصادي والاجتماعي للأسرة: لقد أكدت العديد من الدراسات أن هناك ارتباطاً إيجابياً بين الوضع الاقتصادي والاجتماعي للطفل؛ وبين الفرص المتاحة لنمو الطفل نمواً سليماً، والوضع الاقتصادي من أحد العوامل المسؤولة عن شخصية الطفل ونموه الاجتماعي.

٦- المستوى التعليمي والثقافي للأسرة: يؤثر ذلك من حيث مدى إدراك الأسرة لحاجات الطفل وكيفية إشباعها، والأساليب التربوية المناسبة للتعامل مع الطفل.

٧- نوع الطفل (ذكراً كان أو أنثى) وترتيبه في الأسرة: حيث إن أدوار الذكر تختلف عن أدوار الأنثى، فالطفل الذكر ينمَّى في داخله المسئولية والقيادة والاعتماد على النفس، في حين أن الأنثى في المجتمعات الشرقية خاصة لا تنمى فيها هذه الأدوار، كما أن ترتيب الطفل في الأسرة؛ كأول الأطفال أو الأخير أو الوسط له علاقة بعملية التنشئة الاجتماعية، سواء بالتدليل أو عدم خبرة الأسرة بالتنشئة، وغير ذلك من العوامل.

ثانياً: العوامل الخارجية[١]:

١- المؤسسات التعليمية: وتتمثل في دور الحضانة والمدارس والجامعات ومراكز التأهيل المختلفة.

٢- الرفاق: حيث الأصدقاء من المدرسة أو الجامعة أو النادي أو الجيران وقاطني نفس المكان، وجماعات الفكر والعقيدة، والتنظيمات المختلفة.

---

(١) حسين السيد رشدي، دراسة ميدانية عن الغياب المدرسي بالمرحلة الثانوية الأسباب والعوامل ص ٣٧.

٣- دور العبادة: مثل المساجد؛ وأماكن العبادة المختلفة.

٤- ثقافة المجتمع: لكل مجتمع ثقافته الخاصة المميزة له والتي تكون لها صلة وثيقة بشخصيات من يحتضنه من الأفراد، لذلك فثقافة المجتمع تؤثر بشكل أساسي في التنشئة؛ وفي صنع الشخصية القومية.

٥- الوضع السياسي والاقتصادي للمجتمع: حيث إنه كلما كان المجتمع أكثر هدوءاً واستقراراً؛ ولديه الكفاية الاقتصادية؛ كلما ساهم ذلك بشكل إيجابي في التنشئة الاجتماعية، وكلما اكتنفته الفوضى وعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي؛ كان العكس هو الصحيح.

٦- وسائل الإعلام: لعل أخطر ما يهدد التنشئة الاجتماعية الآن هو الغزو الثقافي الذي يتعرض له الأطفال من خلال وسائل الإعلام المختلفة وخاصة التليفزيون، حيث يقوم بتشويه العديد من القيم التي اكتسبها الأطفال؛ إضافة إلى تعلمهم العديد من القيم الأخرى الدخيلة على الثقافة العربية.

أنواع العنف وبرامج التوعية والوقاية[1]:

وتوضح أرقام مؤسسة التنمية الأسرية، أن العنف الأسري يشكل النسبة الأعلى في حالات الإساءة للأطفال وبنسبة تقدر بـ٣٧٪، يليه العنف النفسي، حيث بلغ ١٨٪، الأمر الذي يشير إلى أهمية تكثيف البرامج الاجتماعية الموجهة للوالدين والقائمين على تربية الأطفال لتدريبهم على الأساليب

(١) دعوة صريحة لحماية الصغار من الإيذاء البدني والنفسي لكبيرة التونسي، بحث ألقي في «ملتقى اليوم العالمي للطفل٢٠١٣» نظمته مؤسسة التنمية الأسرية لبث رسائل توعوية وتربوية، تاريخ النشر: الأحد ٢٤ نوفمبر ٢٠١٣م.

التربوية السليمة لتعديل سلوكيات الأطفال، وإكسابهم المهارات الحياتية الأساسية كمهارات التحكم في المشاعر، والسيطرة على الغضب، والقدرة على التحمل وضبط النفس، وتقييم وتقدير الضغوط الحياتية والأزمات وآليات التعامل معها حتى لا يكونوا عرضة للاستفزاز واللجوء للعنف مع أبنائهم.

وتشير معظم الدراسات إلى أهمية تكثيف البرامج الوقائية والعلاجية الاجتماعية والنفسية المبنية على أسس علمية، والتي تعتمد على المنهج التطبيقي «إكساب المهارات»[١]، في المجالات التالية:

- الإرشاد، والاستشارات الأسرية التي تساهم في وقاية الطفل وحمايته من تكرار الإساءة والتعرض للمخاطر.
- مهارات التواصل الأسري الفاعل والتعبير عن المشاعر بالطرق السليمة.
- الحاجات الاجتماعية من العلاقات وآليات إشباعها لتحسين طبيعة العلاقات بين الأفراد في الأسر والمجتمع.
- الأساليب التربوية السليمة وانعكاساتها على توجيه سلوكيات الأبناء.
- التوعية بمفهوم وأسس العلاقات الزوجية الناجحة وأثرها على الأبناء.
- وأخيراً، تعزيز مفهوم تقدير الذات لدى أفراد الأسرة.

---

(١) بحث: دعوة صريحة لحماية الصغار من الإيذاء البدني والنفسي، لكبيرة التونسي.

المراجع

- الحسن، إحسان محمد، (٢٠٠٥)، علم الاجتماع التربوي، ط١، دار وائل للنشر، عمان.
- القضاة، خالد، (١٩٩٨)، المدخل إلى التربية والتعليم، ط١، درار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان.
- وطفة، علي أسعد، علم الاجتماع التربوي وقضايا الحياة التربوية المعاصرة، ط٢، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، (١٩٩٨).

مواقع الانترنت:

http://almdares.net/modules.php?name...=article&sid=9).11

(www.google.com).